(٥)

قناة السويس الجديدة
وقيم الحداثة والتقدم

كم كنت أنتظر شخصيا ذلك العمل الدال على قدرة الآنسان المصرى على العمل وفقا لمعايير ثقافة التقدم والحداثة، فكم ناديت من قبل بأننا نمتلك القدرة على الانتقال من ثقافة الجمود والتخلف إلى ثقافة التقدم والحداثة إذا أردنا ذلك بحق، وكانت ثقتى فى ذلك بلا حدود لأننى أدرك العمق الحضارى لشعبنا المصرى العظيم وأدرك كم هو قادر على صنع ما يراه الآخرون فى عداد المعجزات إذا ما توفرت لديه الارادة وإذا ما كانت لديه القيادة القدوة القادرة على اتخاذ القرار الصحيح فى الوقت الصحيح والقادرة على التخطيط الجيد له ومتابعته بالجدية والإخلاص الواجبين، حينئذ يتفاعل المصريون مع القائد متناسين كل ما يعانونه من ظروف قاسية ليعلنوا التحدى، حينئذ يتحولوا هم أنفسهم من أناس خاملين نتهمهم بالكسل والتراخى والاهمال والفوضوية وعدم احترام الوقت إلى أناس واعين بأهمية التخطيط وأهمية اتقان العمل وتنفيذه فى الوقت القياسى المطلوب ويضحون فى سبيل ذلك بالغالى والنفيس متجهين إلى تحقيق الهدف وصنع الاعجاز بكل قوة ملتزمين بكل قيم الحداثة والتقدم

من الاتقان فى العمل إلى التدقيق فى كل تفاصيله حتى يخرج إلى النور فى أبهى صورة ممكنة. لقد فعل المصريون ذلك حينما بنوا السد العالى، وفعلوه حينما حولوا هزيمة ١٩٦٧ م إلى نصر أبهر العالم عام ١٩٧٣م.

وكم أشعر بالسعادة والفخر لأن المصريين بقيادة الرئيس السيسى عادوا ليبرهنوا للعالم على أنهم لايزالون يمتلكون هذه الارادة العبقرية لصنع ما يتصور الآخرون أنه عمل معجز لا يتحقق إلا لدى قوم يؤمنون ويعيشون بحق ثقافة التقدم والانجاز!!

ولنبدأ من البداية لنعرف كيف حقق المصريون فى انجازهم لحفر قناة السويس الجديدة قيم ثقافة التقدم وكيف تخلوا تماما عن قيم الثقافة النقيض ـ ثقافة التخلف والعجز والجمود.

والبداية تبدأ لدى المصريون عادة من القائد الذى يخلص العمل لوجه الوطن بجدية واتقان، وقد توافر ذلك تماما فى رئيسهم الذين اختاروه بعناية القدر وحاستهم الحضارية الفريدة، فهو المدرب على القيادة الواعية بأهمية التخطيط والتوقيت واحترام قيم الجودة والاتقان والاخلاص والجدية فى العمل بحكم انتمائه الوطنى لهذه المؤسسة التى برهنت على تمسكها بهذه القيم منذ انتصارها الظافر على العدو الذى لايقهر فى حرب ١٩٧٣م، وقد خبره هذا الشعب المتحضر جيدا حينما اتخذ قراره الشجاع بوطنية وجرأة يحسد عليها بالانحياز إلى ثورة الشعب الهادرة ضد حكم الاخوان فى الثلاثين من يونيو ٢٠١٣م، وحينما نفذ وعوده التى التزم بها مع الشعب واحدا بعد آخر بمصداقية رائعة وبشفافية واضحة. ولقد كانت هذه الثقة المتبادلة بين الرئيس والشعب هى أساس اتخاذ الرئيس لقرارات حاسمة مثل البدء فى تنفيذ عدة مشروعات قومية دفعة واحدة

ـ رغم كل التهديدات الارهابية التى تحيط بمصر داخليا وخارجيا والتى تصور المتقاعسون والانهزاميون أنها كافية لتوقف مسيرة العمل الجاد على الارتقاء بالوطن وتطوير الخدمات لشعبه ـ وكان على رأس هذه المشروعات مشروع قناة السويس الجديدة على أن تحفر بتخطيط وأيدى المصريين وأيضا بأموالهم، وكم راهن المشككون فى امكانية تحقيق كل ذلك وفى عام واحد!! لكن الرئيس كان بلا شك قد درس قراراته جيدا وكان يعرف بحسه الوطنى بأن الثقة بينه وبين الشعب قادرة على أن تفعل ذلك وأكثر!! وها هى مصر بشعبها وقائدها يصنعون ما ظنه البعض حلما طوباويا بعيد المنال!!

لقد تم هذا الانجاز ـ الاعجاز لأن كل من شاركوا فيه كانوا مثالا يحتذى فى الالتزام بكل عناصر وقيم ثقافة التقدم؛ فقد أمنوا برؤية ورسالة المشروع وبسلامة التخطيط المقرر لتنفيذه وبأهمية تحقيق الهدف فى توقيته الزمنى، وهنا نلمس ايمانهم بأهمية التخطيط وفق رؤية ورسالة محددة، وكذلك ايمانهم باحترام الزمن وتقدير قيمة كل لحظه فى هذا الزمن المحدد ومن ثم ايمانهم بضرورة المراجعة والاحصاء لكل انجاز يتم فى كل يوم عمل حتى لايفاجئهم انقضاء الوقت فيتأخر الانجاز ولا يتحقق الهدف، وهنا أيضا نجد أن أى مشكلة كانت تطرأ وتنبئ بعرقلة حركة ومعدلات الانجاز كان لابد من حلها فورا والتغلب عليها، وهذا يستلزم باستمرار وجود قيادات العمل فى مواقع العمل على مدار الساعة ومتابعة معدلات التنفيذ سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر وبدون كلل أو ملل. وفى إطار ذلك نجد ايمان الجميع قادة وعاملين، مشرفين وعمال بقيمة التضافر والتعاون فى انجاز العمل بجدية واتقان وهذه أيضا

من أهم قيم ثقافة التقدم: العمل التعاونى المشترك الذى يحدد لكل دوره والمؤمن بالأهمية المتوازنة لكل الأدوار دون تفضيل ودون تمييز، فالكل يؤدى دورا مهما كان حجمه ضئيلا أو غير منظور. سرعة الأداء المتقن ومراقبة الجودة فيه فى كل لحظة وعلى كافة المستويات. التنسيق بين المهام المختلفة التى يتم من خلالها العمل، وقد تحقق كل ذلك على أعلى مستوى ضمن هذا المشروع العملاق، ويكفى أن نعرف حجم الشركات المشاركة وحجم ما كانت تستخدمه من عمالة ومعدات كان من بينها على سبيل المثال ٧٥ فى المائة من كراكات العالم كله، يكفى أن نعرف ذلك لندرك مدى التنسيق والتعاون بين كل الهيئات والادارات والشركات العاملة فى المشروع. الاخلاص والأمانة فى أداء العمل على كافة المستويات؛ فلو لم يكن الجميع قد تحلى بهاتين القيمتين – وهما من قيم ثقافة التقدم أيضا – ماكان يمكن انجاز العمل بهذا الاتقان وبهذه السرعة وبهذا الالتزام بالخطط الموضوعة. الثقة بالنفس المدعومة بالعلم والعمل، وقد كان الجميع يشعر بهذه الثقة فى النفس طوال ذلك العام الذى تم فيه الانجاز؛ فقد كان صاحب القرار واثقا فى صحة قراره وفى أن المسئولين التنفيذيين سيتحملون المسئولية ويحققون الهدف فى التوقيت الذى التزم هو وهم به، وكان واثقا فى أن الشعب قادر على توفير المليارات المطلوبة لتنفيذ المشروع، وكان الشعب عند حسن الثقة فيه لثقته فى قائده ومدى مصداقيته، كما كان المسئولون التنفيذيون من رؤساء العمل ورؤساء الشركات وحتى رؤساء ورديات العمل واثقون فى أنفسهم وامكانيات العاملين معهم على تحقيق الانجاز خطوة وراء الأخرى ومرحلة وراء مرحلة كل فى ميدان تخصصه وفى إطار المخطط له.

إن تلك السيمفونية والهارمونى الذى تم به انجاز هذا المشروع العظيم بدءا من اتخاذ القرار حتى حفل الافتتاح إنما هى دلالة لا تقبل الشك على أن المصريين قد نجحوا بجدارة فى امتلاك كل عناصر ثقافة التقدم واستخدموها بمهارة منقطعة النظير على أرض الواقع، وياليتنا ندرك ذلك ونتمسك به فى وعينا دائما، كل فى ميدان عمله وفى إطار تخصصه، ويالينا نتمسك بهذه اللحظة الخالدة ونتأملها جيدا وباستمرار لا لمجرد أن نفخر بما حققناه من انجاز معجز فيها، بل لأنها تمثل لحظة امتلاكنا «لكود «ثقافة الانجاز الحضارى الذى تتقدم به الشعوب والأمم والتى ستجعلنا لو أصبحت هى نمط حياتنا فى العمل والانجاز نتفوق على شعوب وأمم كثير حاولت ونجحت وتفوقت رغم أنها لا تملك ما نملكه من موارد وامكانيات بشرية ومادية، فهل آن آوان تخلصنا من شوائب مانرزح تحته منذ عقود من عناصر ثقافة التخلف والتبعية والجمود؟! وهل آن آوان عبورنا العظيم إلى ثقافة التقدم والانجاز الحضارى الجسور للحاق بركب التقدم العالمى والمنافسة فيه؟!

أعتقد وبكل ثقة فى الشعب المصرى وقيادته الحالية أننا لن نفرط فى «كود» ثقافة التقدم بعد أن امتلكناه بالفعل ونفذنا من خلاله مشروع القناة الجديدة بجدارة، وذلك لأننا ببساطة جربناه ونجحنا به، فما الذى يمنعنا من أن نكرره مرات ومرات حتى يصبح جزءا من تكويننا الفكرى والحضارى وحتى يصبح عادة من عادتنا اليومية فى العمل والانجاز على كافة الأصعدة وفى كل المجالات؟! إنه سبيلنا الوحيد لنحقق كل أهدافنا وطموحاتنا كشعب صاحب عمق وتاريخ حضارى عظيم يريد فقط أن يستعيد قدرته على الانجاز الحضارى والعيش فى رخاء واستقرار.